

﴿ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (14)

شرح الكلمات:

{ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

المعنى الإجمالي :

قوله { كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الإنسان.

والحق تبارك وتعالى يُصَوِّرُ لنا موقفاً من مواقف يوم القيامة، حيث يقف العبد بين يدي ربه عز وجل، فيدعوه إلى أن يقرأ كتابه بنفسه، ليكون هو حجة على نفسه، ويُقَرَّرَ بما اقترف، والإقرار سيد الأدلة.

فهذا موقف لا مجال فيه للعناد أو المكابرة، ولا مجال فيه للجدال أو الإنكار، فإن حدث منه إنكار جعل الله عليه شاهداً من جوارحه، فيُنطقها الحق سبحانه بقدرته: وقد جعل الخالق سبحانه للإنسان سيطرةً على جوارحه في الدنيا، وجعلها خاضعة لإرادته لا تعصيه في خير أو شر، فبيده يضرب ويعتدي، ويبيده يُنقِص ويقيّل غفرة المحتاج، وبرجله يسعى إلى بيت الله أو يسعى إلى مجلس الخمر والفساد.

وجوارحه في كل هذا مُسَخَّرَةٌ طائعة لا تتأبى عليه، حتى وإن كانت كارهة للفعل؛ لأنها متقادة لمراداتك، ففعلها لك ليس دليلاً على الرضى عنك؛ لأنه قد يكون رضى انقياد. فإذا كان القيامة وانحلت من إرادته، وخرجت من سجن سيطرته، شهدت عليه بما كان منه. { كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 14] أي: كفانا أن تكون أنت قارئاً وشاهداً على نفسك.

وَيُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اِقْرَأْ كِتَابَكَ الَّذِي يَحْوِي أَعْمَالَكَ كُلَّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُحَاسِبُ عَلَى نَفْسِكَ، وَقَدْ عَدَلَ مَعَكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيباً عَلَى نَفْسِكَ. وَإِنْ أَنْكَرَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ شَهِدَتْ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وحسبنا؛ تتضمن الإحصاء والحساب والرقابة، فضميرك شاهد عليك، ونفسك بما نقش عليها وحفظ أقوى برهان على عملك، والله بعد ذلك يتولى الجزاء، مع قيام الدليل من نفسك أنت.

لحاسبة النفس فوائد جمّة ، منها :

أولاً : الإطلاع على عيوب النفس ، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه معالجته وإزالته .

ثانياً : التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان .

ثالثاً : معرفة حق الله تعالى ، فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى .

رابعاً : انكسار العبد وتذللته بين يدي ربه تبارك وتعالى .

خامساً : معرفة كرم الله سبحانه ومدى عفوه ورحمته بعباده في أنه لم يعجل لهم عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات .

سادساً : الزهد ، ومقت النفس ، والتخلص من التكبر والعجب .

سابعاً : تجد أن من يحاسب نفسه يجتهد في الطاعة ويتزك المعصية حتى تسهل عليه الحاسبة فيما بعد .

ثامناً : رد الحقوق إلى أهلها ، ومحاولة تصحيح ما فات .

هناك أسباب تعين المسلم على محاسبة نفسه

وتسهيل عليه ذلك ، منها ما يلي :

1. معرفة أنك كلما اجتهدت في محاسبة نفسك اليوم ، استراحت من ذلك غداً ، وكلما أهملت اليوم اشتد عليك الحساب غداً .
2. معرفة أن ربح محاسبة النفس هو سكون الفردوس ، والنظر إلى وجه الرب سبحانه ، وأن تركها يؤدي بك إلى الهلاك ودخول النار والنجاة عن الرب تبارك وتعالى .
3. صحة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ، ويطلعونك على عيوب نفسك ، وترك صحة من عداهم .
4. النظر في أخبار أهل الحاسبة والمراقبة ، من سلفنا الصالح .
5. زيارة القبور والنظر في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم .
6. حضور مجالس العلم والذكر فإنها تدعو لحاسبة النفس .
7. البعد عن أماكن اللهو والغفلة فإنها تُنسيك محاسبة نفسك .
8. دعاء الله بأن يجعلك من أهل الحاسبة وأن يوفقك لذلك .

ذكر ابن القيم أن محاسبة النفس تكون كالتالي :

أولاً : البدء بالفرائض ، فإذا رأى فيها نقص تداركه .

ثانياً : النظر في المناهي ، فإذا عَرَفَ أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية .

ثالثاً : محاسبة النفس على الغفلة ، ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على رب السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم .

رابعاً : محاسبة النفس على حركات الجوارح ، وكلام اللسان ، ومشى الرجلين ، وبطش اليدين ، ونظر العينين ، وسماع الأذنين ، ماذا أردت بهذا ؟ ولمن فعلته ؟ وعلى أي وجه فعلته ؟

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ

حَسِبًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (408)



قوله من تفسير سورة الإسراء الآية 14

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

9- من اهتمدى وابتع طريق الحق نفع نفسه، ومن ضل وحاد عن

الطريق فقد اضر بنفسه، ولا يتحمل انسان ذنب انسان آخر

10- يجب أن يكون المؤمن محاسباً لنفسه مهتماً بها ، لانما على

تقصيرها قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : ((ومن تأمل أحوال

الصحابه رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ،

ونحن جمعنا بين التقصير ، بل بين التفريط والأمن)) .

11- أصحاب القلوب السليمة والعقول الواعية عرفوا أن الله لهم

بالمرصاد فعرفوا أنه لن ينجيهم إلا لزوم الخاسية ومطالبت النفس

ومحاسبتها على الأنفاس والحركات

قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ

لِعَدِّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) الحشر: 18

12- كلما عرف الإنسان ربه حق المعرفة عرف أن ما معه من

البضاعة والطاعة مهما عظمت وكبرت وزادت لاتساوي شيء

ولوجاء بعمل الثقلين لأنه أمام رب سريع الحساب .

13- على المؤمن أن يحاسب نفسه فالطاعة والفروض

رأس المال والمعاصي هي الخسائر والنوافل هي الأرباح

وليعلم أن كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسة

يمكن أن يشتري بها كنز من كنوز الآخرة .

14- محاسبة النفس هو طريق استقامتها، وكمالها،

وفلاحها، وسعادتها، يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر: 18]، قال ابن كثير

في تفسيره: وقوله: وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ أي

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا اذخرتم

لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم

على ربكم .

والله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- تقرير العدالة الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً .

2- محاسبة الخلاق على أفعالهم، وكيفيته بالنسبة للمؤمن أن الله

يخلو به فيقرره بذنوبه، ثم يقول (قد سترتها عليك في الدنيا وأنا

اغفرها لك اليوم) . وأما بالنسبة للكافر فإنه يوقف على عمله

ويقرر به، ثم ينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على

ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .

3- يحضر للإنسان كل شيء عمله من الخير والشر، فيسره أن

يجد الحسنات مضاعفة موفرة، وأما إذا وجد السيئات فيستاء

لذلك ويحزن .

4- يؤمر بقراءة كتابه، ويقال له: نكتفي من حسابك بمحاسبتك

لنفسك، فيكون الإنسان على نفسه حسيباً يوم القيامة .

5- عِظَمُ الإيمان بهذا الأصل يطلب العبد إلى أن يجعل صحائفه

ليس فيها إلا الخير، وإذا عمل شيئاً من السوء فليعظم الحسنات

الماحية وليعظم الاستغفار الذي يحو الله - عز وجل - به

السيئات .

6- أن الناس في ذلك الموقف تُنشر لهم السجلات والكتب،

ويؤمرون بأخذها وتتطير أيضاً إليهم؛ يعني على اختلاف

الصفات فمن أخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله وراء ظهره .

7- صحيفة عمله إما أن يأخذها بيمينه أو يأخذها بشماله،

وهذا عندما تنشر الدواوين التي هي صحائف الأعمال .

8- أن هذا الكتاب الذي يخرج هو كتاب الحسنات

والسيئات التي يسجلها الملائكة على الإنسان، حيث

يخرج له ويحد فيه كل ما عمل، وهناك يقول الظالمون: {يَا

وَيْلَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

أَخْصَاَهَا} [الكهف: 49]، لا يغادر شيئاً، وكل شيء يجده

المراء أمامه مكتوباً محفوظاً لدى الله جل وعلا .